

قطوف من أدب سعدى الشيرازي

«الثنويات»

ترجمة: د / ملكة علي التركي*

يعد سعدى الشيرازي شاعر القرن السابع الهجري، الذائع الصيت من أبرز شعراء الفرس، الذين خلفوا تراثاً شعرياً ونثرياً غزيراً، يتسم بالشمول والعمق، والبعد الإنساني العالمي، والحس المرهف بالنبض الإنساني، والنظرة الشاقبة للإنسان، ومشاعره ومشكلاته، والانفعالات التي تتنازع وجدانه، وبالفهم العميق للقوانين الإلهية، التي تحكم حركة الحياة.

الثنويات

«العدل هو أهم القيم التي حرص الإسلام على تحقيقها، وتحقيق العدل هو لصالح الحاكم والمحكوم معاً، لأنه يؤدي إلى وجود شعب متأسك قوي يدافع عن بلاده ويحرسها»:

- عزم عطاءك على الجميع كما تعمم أوامرك في المراسيم
- لا أن تُرضي شخصاً وتحرم آخر.
- يجب فعل الخير مع الكافة
- حتى لا يشق بينهم غبار.
- فما يزيد في كفة
- ينقص بلا شك في الأخرى.
- يلزم العدل والإنصاف والاستقامة
- حتى وإن خوت الخزانة.
- فأهل العلم والعدل
- لا يخربون أبداً قلوب الناس ويعمرون الكنوز.
- والمملك الراعي للفقير
- هو حارس لبلاده.

* * *

«إذا أراد الإنسان أن يتجنب إساءة الآخرين، فعليه أولاً عدم الإساءة إليهم»:

- فكر أولاً ثم تحدث
- فالخاطئ الذي لا أساس له، ليس محكماً

وقد يشترك كثير من شعراء الفرس مع سعدى في بعض هذه الأمور أو أغلبها، إلا أن سعدى الشيرازي يبرز ويتميز بخصوصية في هذا المجال؛ لأن أدبه يكاد ينطق بأخلاقيات الإسلام السامية، ويتحدث بقيمه النبيلة الشاملة، التي تهدف إلى الرقي الإنساني، حتى يصبح الإنسان جديراً بخلافة الله في الأرض، لذلك كانت الناحية الأخلاقية والنصائح واضحة جلية في أشعاره.

ومما لا شك فيه أن قراءة أدب سعدى الشيرازي أمر محبب إلى النفس، وأن قضاء سويغات في عالمه الأدبي، وبين رياضه يعد متعة للنفس ونزهة للروح.

ولذلك فكرت في ترجمة مختارات من أشعاره، التي لم تترجم من قبل من الفارسية إلى العربية، وسوف أكتفي في هذا المقام بترجمة بعض أشعاره، التي توجد في كلياته تحت عنوان «ثنويات»، وتقع في تسعة عشر ومائة بيت^(١)، وهي مجموعات من الأبيات القصيرة، والتي يقع أغلبها في بيتين، ولا يوجد بين هذه المجموعات وحدة موضوعية، لأنها فيما يبدو قد نظمت في مناسبات مختلفة، وتم جمعها على أساس اتفاقها في شكل النظم، لذلك قمت بترجمتها بنفس ترتيبها في الكليات، مع إضافة تعليق صغير قبل كل مجموعة أبيات، لتوضيح المعنى العام الذي يهدف إليه الشاعر^(٢).

(*) أستاذ الأدب الفارسي بكلية الأدب بجامعة عين شمس في القاهرة.

(١) كليات سعدى: أزروى نسخه تصحيح شدة محمد علي فروغى واستاد عبد العظيم قريب ص ٨٦٤: ٨٧٣ بهران ١٣١٦.

(٢) وضعت إضافاتي بين قوسين «...»

فكر أولاً ثم تحدث فالحائظ الذي لا أساس له، ليس محكماً

- وهو لا يعلم أن نعمة «الحجاز كار»
عجزت عن اللحاق بأصوات طبول الجهاد.
* * *
«النميمة من العادات السيئة، التي ربها فافت قدرة السحر
نظراً لتأثيرها السريع»:

- في عام كامل وبسحر الأرمن
يمكن إحداث شقاق بين شخصين.
- والنمائم التعس في لحظة واحدة
يوقع الخلاف بينهما.
* * *
«إن الشهامة والنخوة من شيم الرجال، أما الدعة والخنوع
فهي تدفع بالرجل إلى مرتبة لا تصل به حتى إلى المقارنة بالنساء»:
- لأن المحصنات كن كالرجال
فقد سلبن النخوة من الرجال
- وأنت مع هذه الرجولة وقوة التحمل
أخشى أن تظهر أقل من امرأة.
* * *

«الإحسان إلى الأخصاء له مزاياه، فهو ينجح في تعطيل قوى
الشر داخلهم، فيحولهم من أعداء إلى محايدين»:
- لو أن الإحسان لا يجدر مع الخسيس
إلا أنه يلزم أحياناً من أجل المصلحة.
- إذا ما شحذ الكلب المفترس أسنانه
ألق بعظمة أمامه فوراً.
- المعروف أنه لا يوجد أسوأ من الكلب في الدنيا
إلا أن الإحسان إليه ليس بعيداً عن الحكمة
- لأنك لو قدفته بحجر ناوشك.
وإن اعتنيت به حرس لك القطيع.
* * *

«إن ما يخلف الإنسان هي سيرته، وهي التي تخلده بعد
مماته»:
- لا تفنى السيرة العطرة وإن مات صاحبها
فهي تخلفه بين قومه
- إن وجد مصباح في مجلس، وانطفأ الشمع
يظل ضياء المصباح يشمل الجميع.
* * *
«إن الكسب الحرام يؤدي إلى إنفاق النقود فيما لا يرضي الله»:
- أتعلم قط ما هو الدخل الحرام؟

- إن أسأت فلا تأمن اللعن
فلن يرد أحد على السوء بالإحسان
* * *
«أدعياء الطرب يتسببون في إزعاج شديد للإنسان والحيوان
على حد سواء»:

- لم ير شخص مطرب الزمان
يومين متاليين في مكان واحد، من هذا القصر المبارك.
- فعندما انطلق صوته من فمه
وقف شعر الناس فوق أبدانهم.
- وطار طائر الإيوان فرعاً منه
أطاح بالعقول ومزق حلقة.
* * *

«يجب على الإنسان عدم التعلق بالدنيا الفانية، وليتخذ من
إبراهيم بن أدهم قدوة له في هذا الصدد»:
- ما أجل ما قال إبراهيم بن أدهم
عندما ترك الملك والحكم والخاتم:
- يجب ألا يتعلق القلب بشيء أو بشخص
لأن نزع القلب عنهم أمر صعب.
* * *

«الجميع إلى زوال ولن يكون هناك فرق بين الملك والخفير،
ففي النهاية لن يتبقى من الجميع سوى حفن من العظام»:
- شاهدت شخصاً في خانقاه
كان يحفر قبر أحد الملوك
- وكان التراب ينهال على يديه
وهو يذرف الدمع من عينيه ويقول:
- لا أعلم هل هو الملك أم الحارس
فكل ما أراه هو حفن العظام.
* * *

«التطاؤل ينبع دائماً من الجهل والعجز وسوء الخلق، حتى
وإن ملأت أصدأه الآفاق»:
- أخذ جاهل يتطاؤل بالصباح
على عالم دون خجل

أو أي إنفاق يجلب سوء العاقبة؟
- هو ما يتم جمعه بالتسول
ثم إنفاقه في الفسق والمعصية!

«إصلاح ذات البين يتأتى باللين واللفظ لا بالعنف والقسوة»:

- لم أسمع أن الطائر المنطلق من الشَّركِ
عاد هو والكلام إلى الخلق
- إذا ما اعتلى الطائر الجراح الحائط
من يستطيع أن يستعيده ثانية
- يهدى الضالون باللين واللفظ
وليس بإغصابهم بحرب أسوأ.

«لكل من الخير والشر دوره في الحياة، فالأول يثمر ويضيف للحياة والآخر يؤذي ويخرج».

- يصيبون أقرانهم بالجراح
يجرحون ولا يداونون
- كالشوك مع الورد والظلام مع النور
والزنابير مع العسل والنحل مع الشهد.

«الإسلام دين الوسطية، وكما أن عدم الالتزام بالدين أمر مجوج، فالتشدد في الدين أيضاً أمر غير مستحب، والقُدوة في ذلك هو المصطفى ﷺ»:

- أي عريد مضطرب بائس
وأي زاهد يشق على نفسه.
- اجتهد في الزهد والورع، واسع في الصدق والصفاء
ولكن لا تتزبد على المصطفى ﷺ.
- لا تخرج عن حدود البياض
حيث مقر السواد لأنه مذموم.

«إن خلت الساحة أمام من اعتاد السباب والشتم فلا بد أن تدور عليه الدوائر ويقهره الزمن ذات يوم»:

- سمعت سبائك كَلَّه
ولم أر سبيلاً لمقاومته
- فمن الأفضل المدارة مع أمثالك
حتى يحين وقت الإجابة
- في ذلك اليوم حينما تتردى بأعمالك

سوف يترامى إلى مسامعك ما قلته.

«إن الكمال الإنساني في أرفع صورته يتمثل في حب البشر كافة. الأصدقاء من أجل الله، والأعداء لتكف أذاهم عن أنفسنا»:

- أتعرف ما هو الكمال الإنساني؟
هو اللطف مع العدو والإحسان مع الصديق.
- محبة الأحاب من أجل الله
ومواساة الأعداء للمدارة

«إن الأخلاق الحميدة هي ما يميز الإنسان عن الحيوان، ولن تتحقق للإنسان إنسانيته إلا إذا أدرك هذه الحقيقة»:

- أنا كالنمل الذي أسحقه بأقدامي
ولست كالنحل الذي يثنون من لدغاته.
- فكيف لي أن أؤدّي شكر هذه النعمة
على أنه تعوزني القوة على أذى الخلق.

الإحسان إلى الأعداء يعطل الشر داخلهم
ويجزي لهم من أعداء إلى معايدين

«يجب على الإنسان الناجح ألا يظل قلقاً من المجهول ومما سيأتي به الغد، لأن هذا يفسد عليه سعادته، ولا يُغيّر من الأمر شيئاً»:

- أصحاب النجاح والخط
كم يقاسون خوفاً من التردّي!..
- فاذهب واسعد أيها الحبيب المبهج
فيجب ألا تفكر اليوم في الغد.

«إن الإنسان الذي يتسبّب في أذى كل من حوله وإغصابه حتى أجبائه ليس إنساناً، بل إن الحيوان أفضل منه»:

- إن الكلب يشرف ذلك الشخص
الذي يغضب قلوب أجبائه
- ونمثل لهذا الكلام بصورة واقعية
حتى تستقر المعاني في القلوب
- إنسان يتناول معك الطعام
وكلب محروم خارج أعتابك

«يجب على الجميع تقدير الخصائص الجسدية والنفسية
لمرحلة الشيخوخة»:

- الجميع من جُنْدٍ إلى أُمراءَ يَعْرِفُونَ
أن الشباب لا يتأتى من الشيوخ
وعذري واضح فوق عذارى
وأني عذري لي بعد هذا

* * *

«إن حُبَّ المال والحرص على جمعه يسلب الإنسان راحته
وأمنه»:

- إن كنتَ حكيماً فلا تجمع المال
لأنه يشتت سلامك وأمنك.
- فقد كان لديّ من قبل كيسٌ مملوءٌ بالفضة
فاعتراني الخوفُ ليلَ نهارٍ بسبب الكيس
- فألقيته به وأشحتُ بوجهي عنه
فلَيْسُبْغَ عليَّ الحافظُ فَرَجَهُ

* * *

«من الظواهر المعروفة تودّد الأصدقاء للغنيّ، والتفأفهم
حوله، ثم انفصاضهم عنه بنفس السرعة، عند تردّي الأحوال»:

- هؤلاء الأصدقاء المحتالون الذين تراهم
هم كالذباب حولَ الحُلوى
- يندفعون إليك مثل النحلِ
ليمتصّوا الرحيقَ المتاح
- فإذا ما حلَّ الخرابُ بالقرية
وانكَمَشَ الكيسُ وصار مثل الربابة
- ينفضون عن صحبتك ومواساتك
ولا تجول معرفتك بخواطيرهم
- وإذا ما أقبلَ الخطُّ مرةً أخرى
ودقَ التوفيقُ على أبوابك
- فاطمِ لهم شُرْبَةَ الزبّادي

حيث يلتفون حولها من اليمين واليسار كالذبابِ دَاخِلَ الزبّادي!

* * *

«توجد صفة إنسانية غريبة، وهي أن معظم أذى الناس ناتج
عن مخاوف تعتمل داخلهم، لا عن وجود خطر خارجي»:

- كل من تتنابه المخاوف من أذاك
لا تأمن جانبَهُ
- العقاربُ التي تلدغُ النَّاسَ

- فوا أسفاه يلتزمُ الكلبُ بالوفاء لك
ويُجَيِّزُ الإنسانُ عداؤَكَ.

* * *

«تعلّق القلبُ بشخصٍ والتعوّل عليه أمرٌ خاطئٌ، لأنه
يسلب الإنسان حريته ويفقده القدرة على التصرف السليم إذا
اضطرته الظروف»:

- كل من يمنح قلبه لمعشوق
هو كمن يسلم لحيته للآخرين
- إن الغزال المقيدة عنقه بالأغلالِ
لا يستطيعُ الانطلاقَ بمفرده
- وما لا يقبل المرأةُ الانفردَ به
يضطر إليه عند الجفاءِ

* * *

«إن صفاء القلب وشفافيته لا يستقيمان مع اجترار الأحزان
المتواصل»:

- الحزنُ الذي تُثَقِّلُ به قلبك

لكل من الخير والشر صميمته في الحياة:
الأول يثمر.. والثاني يورث ويحرق

إن وضعته فوق جبل ينوء به
- والروح الجميلة إذا ما اجترت الآلام
فكيف للقلب المسكين أن يسعد؟!..

* * *

«إذا أمعن الإنسان فكره فسوف يدرك أن المتحدث إذا
تحدث عن شخص على خلاف معه، لن يكون منصفاً أبداً»:

- لا تُصْغِ إلى حديثِ زَيْدٍ عن عمرو
ما لم تعلم في البداية حقيقة الأمر
- إن وُجدَ بينها خلاف
فبلا شك يكون هذا الحديثُ هُراءً.

* * *

«الحياة الإنسانية يعتمل فيها الخيرُ والشرُّ وهي صراع دائم
بينهما»:

- الجميعُ أبناءُ آدمَ، وبَشَرٌ
البعضُ يميل إلى الخيرِ والبعضُ الآخرُ إلى الشرِّ
- هذا لا يؤذي نملةً
وذلك يفوقه الكلبُ شرفاً!

* * *

أغلبها تفعل ذلك خوفاً على أنفسها.

* * *

«إن المشورة هي أساس النجاح على كافة المستويات لأن فوق كل ذي علم عليم»:

- كل من يعقد أمراً دون مشورة
- لا يصيب هدفه غالباً
- الجذر الذي تزرعه دون مشورة
- لن يُثمر سوى الندم.

* * *

«إن الإنسان لكي يكون جديراً بخلافة الله في الأرض، عليه التحلي بكل القيم الإسلامية الرفيعة، والترفع عن المكاسب الدنيوية حتى ولو كانت رضا السلطان»:

- يا مَنْ تَسْتَمِرُّ ظُلْمَ الْفَقِيرِ
- من أجل نجاحك في عملك
- وحتى تحوز اهتمام الملك
- تَغْضِبُ الْحَقَّ لِلْأَسَفِ

* * *

«يجب على الإنسان اغتنام الوقت، وعدم إضاعة العمر هدرًا، لأنه سوف يحصد ما يزرعه»:

- إن عَلِمَ الرجل قيمة العمر
- فسوف يبكي طويلاً على ما أضاعه منه.
- إن الطفل الذي يزين تفاحة بنقوشه ورسومه
- وتطلب منه مثل جوهر الياقوت.
- فإن نظرته الثاقبة لقيمة جوهره
- تجعله لا يستغني عنه دون مقابل
- أضغ إلى نصيحة سَعْدِي بقلبك لا بأذنيك
- إن أردت الأجر اجتهد في العمل
- هرب حمار من قروي
- والتقى بالبرذعة وقطع أربطته
- وأخذ يعدو في الصحراء مثل الحمار الوحشي
- وهو يرفس وَيَصِيح:
- تحررت من المحنة والأثر
- ومن الوسم والبيطار والأحمال والبرذعة.
- أنا سعيد ومسرور
- لأنني منذ الآن سوف أفعل ما أريد.
- وعندما فقد القروي الحمار قال:
- أيها الطائش إنني صابرٌ

- إذن فسوف يشغلك الحديث عن قرار الحمار

عند حصاد الشعير

- لم أقص عليك هذا الكلام مازحاً
- قدغك من الهزل واتعظ بها يحمل من جد
- مثل هذا الرجل الجاهل الثمل
- سوف يعض نواجذه يوم التردّي
- لن تُمنح شيئاً لم تؤدّ مقابله
- ولن يُملأ القَدَح من قَدَرٍ فارغ.

* * *

«الإنسان الحريص لا يكتفي أبداً، مهما امتد به العمر، وحاز من مباحج الحياة، فهو دائماً يتطلع إلى المزيد»:

- حِرْصُ الْإِنْسَانِ الْجَاهِلِ
- مثل النمل في ميدان
- فهذه تُقتل تحت أقدام الدواب

لا تُصغ إلى حديث زيد عن عمرو ما لم
تعلم في البداية حقيقة الأمر

وتلك تحمل حبة مسرعة

حكاية

- كان شيخ في قبيلتنا
- قد طال به العمر أكثر من العتقاء
- عاش مائة وخمسين أو مائة وستين
- ثم تحطم ظهْرُ استطاعته
- وكفت يدُ التدوْق عن الطعام
- امتد به الوقت وهو طريق للفراس
- ليلَ نهارَ بين التأوه والأين والآه
- هو وكل من في الدار في بلاء
- ضاقت الصدور بما يعتمل داخلها
- هو من الآلام ونحن من المعاناة
- ألم يسمع حديث صاحب بلخ
- أن الموت أفضل من الحياة المرة؟
- يصيرُ الشعرُ بعد السواد أبيض اللون
- وليس بعد البياض إلا القبر
- وفي النهاية يصل قابض الأرواح

معظم أذى الناس ناتج عن مخاوف تستمل
دأخلهم .. لا عن وجود خطر خارجي

- ألم يتعظ بأخلاق الأخيار
ويعتبر من عاقبة الأشرار؟ ..

«في صراع الحياة يستبيح بعض الناس لأنفسهم ما لا
يستبيحه الحيوان»:

- لِيَحْرُمَ عَلَى نَاقِضِ الْعَهْدِ سَيِّءَ الطَّوِيَةِ
مَلَأَ بَطْنَهُ مِمَّا يُخْصُ الْفَقِيرَ.

- فلتَمَلِّئْ بَطْنَهُ بِسَمِّ الْحَيَاتِ وَالْعِقَارِبِ
لأنه يتلمس الراحة من عناء الناس

- أَيْسْتَبِيحُ شَخْصَ الْقُوَّةِ مَعَ الْعَاجِزِ؟ ..
أَيَطْلُبُ الْحَمَامُ الْحَبَّ أَبَدًا مِنَ النَّمْلِ؟ ..

- إِنْ تَضَوَّرَ الْعَنْقَاءُ مِنَ الْعَوَزِ
فإنها لا تخطف الصيد من مخالب العصافير

«إذا اهتمَّ الحاكمُ بتحقيق مآربه الشخصية، فلن يتمكن أبداً
من إنصاف الفقير»:

- يَجِبُ عَلَى السُّلْطَانِ أَنْ يَسْعَى لِخَيْرِ الْفَقِيرِ
وليس إلى ما يحقق مَرَادَهُ هُوَ.

- فطالما حث الخطى لتحقيق مآربه
لن يدرك الفقير بغيته

«اقتضت حكمة الله خالق الكون - جلَّ وعَلا- أن يخص
بعض عباده بالغنى والثروة ليقضوا حوائج المعوزين»:

- سُبْحَانَ الَّذِي أَرْسَى أَقَالِيمَ الْعَالَمِ السَّبْعَةِ
وَمَنَحَ كُلَّ شَخْصٍ مَا يَلِيْقُ بِهِ

- إِنْ كَانَ غَنِيًّا أَوْ مُعْزَرًا
فكُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ

«لا يُمكنُ الله سبحانه وتعالى بعض عباده في الأرض حتى لا
يلاحقوا الخلق بشروهم»:

- إِنْ تَمَكَّنَ الْمَسْكِينُ

ما أكثر ما يصدر عنه من خيانات!!

وفي انتظار قابض الأمانة
- رأيت روحه المقاومة قد بلغت الخلقوم

وشاهدت نهار عمره في ضيق الليل
- فسألته بمزحة خفية

أنتعجل في حملك أم تتمهل؟

- فقال: اصمت، حذارٍ من هذا الكلام
لا تعينني أكثر من هذا ولا تصدعني

- أيها الأبله إن أردت الصدق

لا أريد هذا ولا ذاك حتى عماتي.

- أَضَيَّقْتُ ذَرْعًا بِرُؤْيِي

حتى تعجل موتي على هذا النحو؟

- إنني سوف أذهب إن ساءك وجودي

فلن تضيق بي شيراز ولا القرية

- تكفيني مقراً صباحاً ومساءً

وها أنا ذاهب أحمل معي الحذاء والعصا.

- وبينما يتحدث بهذا فاضت روحه

مضى وترك المنزل لآخر

- في تلك اللحظة التي أخذ يُغمض فيها عينيه

كنت أسمعه يتمتم قائلاً:

- وأسفاه لأنني لم أطل البقاء

وعزمت على الرحيل دون اختيار

- لا يتوقع أحد الزوال

ولا يكتفي أبداً من ماء الحياة

«إن المال قد يجلب كثيراً من الشرور والآثام»:

- حمداً وشكراً لا حدَّ لهما لله

على هذه النعمة التي لا تتوافر لدينا

- فمما أكثر الأموال التي تكون وبالاً على الناس

وتكون حافزاً على الظلم وتدعيماً للضلال.

«إن الحكمة الخالدة على امتداد الزمان السحيق هي هزيمة
دولة الباطل، وانتصار دولة الحق»:

- المفاصل المرتخية واليد العاطلة

أفضل من بطولة الباطل وقوته.

- حديث ملوك العجم

وحكاية كتاب الضحاك وجهشيد

- يقرؤها الحكيم حسن المآب

فلا يجدر به أن يضيع الأيام عبثاً

على الإنسان اغتنام الوقت وعدم إضاعته .. لأنه سوف يحصد ما زرع

- لو تأتَّى للقطَّ المحروم جنَّاحٌ
لسلب العصافير طعامَهم من حُبوبِ الأرضِ

«إن شكر الحق تعالى على نعمه هو إقرار لفضله وإحسانه
ويؤدي إلى مزيد من العطاء الإلهي»:

- يتحقق دوام الإقبال بمعرفة الحق
ويتأتى زوال النعمة من عَدَم الشُّكْرِ
- إن عَلِمْتَ فضل الله عليك
لدامت لك نِعْمُهُ إلى الأبد.

- إنَّ ما توافر لديك من لُطْفِهِ وإحسانه وفضله
لَيَحْرُمُ عليك إن لم تُؤدِّ شكره.

«كتابة الدَّيْن أمرٌ إلهي ينبغي الالتزام به والحرص عليه،
لحفظ حقوق الخلق»:

- التخلي عن كتابة ((الدَّيْن)) من فساد الرأي
لأن طباعَ أغلب الناس عَدَمُ الوفاء
- خذ الإثبات لا الضامن والقسم
لأن الضامن ليس قيِّداً.

«إن لم يقتزن الجمال بالأخلاق الحميدة والسيرة الطيبة فهو
مجرد صورة لا حياة فيها»:

- لإلام لا تُنْظَرُ إلى وجهك الجميل
على أنه جُزءٌ من جسدك، وروحُه هي الأخلاقُ الحميدة؟
- لو التصقَّ جسدُ الإنسان بالحائط
لارتسمت صورته عليه

«يغتَرُّ الشاب بقوته فينطلق في الحياة غير آبه بما يصيب
الآخرين بسببه»:

- يجب على الشاب الغاضب في الطريق
أن يحمي الشيوخ الضعاف
- ما أجمل ما قالته نملة تحت أقدام الجمل:
أيها القوي لا تمارس قوتك على الضعاف!

«على الإنسان أن يشكر الله على ما قسمه له، وأن يتأكد أنه

أفضل من آخرين أقل شأناً منه»:

- أيها الرجل لتكن راضياً في السراء والضراء
فلا يمكن تغيير القضاء
- لأن حظ الكلب أسودٌ وحالكٌ
يقذفه الأطفال بالأحجار منذ صِغَرِهِ

«الدنيا مزرعة للآخرة؛ فما يزرعه الإنسان في الحياة سوف
يحصده في الآخرة»:

- اجتهدْ في نثر القمح اليوم
لأنك غداً لن تكون قادراً على الكدِّ
- أرسل كتابَ أعمالِكَ قبل ذهابك
فلن يكون لأقاربك سوى الحزن عليك
«إن طريق النجاة الوحيد أمام الإنسان هو الالتزام بالأخلاق
الحميدة والتخلي عن الحرص والطمع»:
- يا أرباب المظاهر والحرص والطمع
إن متاع الدنيا لا يتسحقُ التعالي والكبر
- حيث يتمُّ تزيينُ المنزل رويداً رويداً
ثم مغادرته مرةً واحدة

حكاية

- لو أنك صاحبُ إقبال وتمتع بالذكاء
فلتستمع لقول الحكماء
- سمعت أن جواد السلطان زلَّ به
وأخذ يناطح الساء
- فسقط الملك المسكين من فوق جواده غائباً عن الوعي
لا يستقر رأسه فوق كتفيه مثل الفيل
- فَحَصَّه الحكماء كثيراً
وأقروا بعجزهم عن علاجه
- ثم حرَّك طبيبٌ وجه الملك إلى موضعه
وأجرى الدماء في أوصاله
- وحدث أن جاء مرة أخرى مسرعاً إلى البلاط
على أمل أن يحسن الملك استقباله
- وسمعت أن فاسد الطبع سيء الخلق ذلك
أشاح بوجهه عنه في وقاحة.
- فثار الطبيب على حظِّه العاثر
وأخذ يقول وهو يغادر البلاط:
- حرَّكت رأسه حتى استرد عافيته

الحكمة الخالدة على مر الزمان: هزيمة

الباطل وقيام دولة الحق

فلا جرم أن أشاح التعس برأسه عنه
- لأنك أخرجته من الجب ولم يعترف بذلك
فيجب إلقاؤه في الجب مرة أخرى
- أعطى لغلام عشباً وأمره:
أشعله هذه الليلة في مخدع الملك.
- ومن هناك عزم على الرحيل
فليس من الحكمة البقاء بلا حرمة
- وفي الصباح استيقظ الملك من نومه
ولم يتحرك وجهه يمينا ولا يساراً
- فبحثوا عن الرجل الخبير
ولكن كيف تُشاهد البرق اليماني ثانية؟
- أخذ الملك يقول كل لحظة مضطرباً من جفائه:
إنني أسأت إليه، ولم أحسن.
- إن برئت فلا تغضب الطبيب
فمن الممكن أن يُعَاودَكَ
السُّقْمُ ثانيةً
- وإن توقفت الأمطار، فلا
تلق بالثوب الواقى منه
وإن شبت من الفاكهة، لا
تحطم الغصن
- وإن فزت بالبيدر لا تبغ التبن
لأن الوضع ينسى النعمة
- لا تستخدم المصباح مرة واحدة
واحفظ به من أجل الظلام
- لا يجدر بالإنسان أن يكون كالجحش
عندما يشبع لا يحوم حول أمه.
- كن وفيّاً وممتناً
فعدم الشكر يجلب سوء العاقبة
- وما جزاء الإحسان إلا الإحسان
وكل من لا يعرف الحق ليس إنساناً
- إن رأيت سوء الخلق يؤثّر ثماره
لا تتخلّ عن أخلاقك الحميدة
- وحتى تواجه أخلاق العامة وطباعهم

نفسى

لا تقل بترك الخير، والسير الحسنة
- إنني لم أقل هذا الرمز ولم أتحدث بهذا المثال من
نفسى
فقد أحضروا لي ذراً فنظمته
- ومنذ صغري حتى الآن
لم ألزم نفسي بحديث آخر
- ساق أحد الحكماء هذه الحكاية
فعرّ عليّ أن تظل مهملة.
- فنظمتها حتى تخلد
ويُثني عليها العقلاء
- ألا يا صاحب الرأي الصائب والتدبير الحسن
يا صاحب المروءة والطباع الحسنة والإقبال
- سمعت قصصك المضيفة للقلب
فلتكن أعوامك وشهورك وأيامك مباركة
- لم يعلموا قدر فضلك وتديرك
وإلا لوضعوا رؤوسهم عند أقدامك
- افعل الخير وألق به في دجلة
حيث يعيده الله إلى صحرائك
- كان قبلنا كثيرون مثلنا
كانوا حسني الطوية سبّني الأعمال
- أحسنوا لأنفسهم وأسأؤوا لها
فلتكن طيب العمل ولا تُسيء الظن
- فكل ما يقوله سعدي نصائح
ومن يلتزم بالنصيحة تغمره السعادة
* * *
- ليكون الله ناصرَك ومعيناً لدولتك
وليقترن دعاءُ مريدك بالإجابة
- وليكن المرادُ والتوفيقُ والحظُّ حلفاءك
لك والكل من يقول آمين.
* * *
«يحيا قلب المؤمن وتهداً نفسه بذكر الله تعالى أينما كان،
وحيثما حل، في حله وترحاله»:
- كان من يسبح الله عليه قبوله
لا ينشغل بشيء قط عن ذكر الله
- عندما ابتلع الحوت يونس
كان يأنس بذكر الله تعالى.

كل من يسبح الله عليه قبوله لا

يشغل أبداً عن ذكر الله

عمر فتال*

طغت الأحاديث المتبادلة على صوت محرك الحافلة، التي كانت تشق طريقها في سرعة، فأحس عبد المعطي، وكأن الصداق الذي اجتاحت رأسه أثناء انتهاء الاجتماع، قد استتب له الأمر بصفة نهائية. أغمض عينيه مرات؛ أثناء انتهاء الاجتماع، قد استتب له الأمر بصفة نهائية.

حزين، نتائج التحليلات العامة، التي أجريت عليه. أغمض عينيه، زالت الصورة. دخل حجرة النوم. أخرج النقود التي تسلمها هذا الصباح. ألقى بها على الطاولة التي إلى جانب السرير، غير ملابسه. استلقى شارد البال، لفترة من الزمان. اندس وسط الفراش الوثير. احتفى بظلال النوم، لكنه لم يظفر ببيغته. اغرورت عيناه، وغمرت الدموع خديه. هم بالضغط على زر المذياع الذي بجانبه. توقف. ركز بصره في الحائط الذي قبلته.. همهم.. شرد دقائق.. ابتسم ابتسامة عريضة، اسقطت الدمعتين اللتين كانتا تسيران على خديه يتمهل.. لعن الشيطان.. استغفر الله تعالى وجهه. وفي خفة قفز من على السرير. فتح باب الحجرة. سار صوب المطبخ وهو يصيح بأعلى صوته: زينب! زينب!

ولج المطبخ، وهو يقول في فرح:

- زينب هيثي نفسك، علينا أن نزور أختي عائشة هذا المساء.

نظرت إليه في دهشة ثم قالت:

- لماذا هذا المساء بالذات؟! وأنت تعلم أننا مدعوون لحضور عقيقة مولودتها الرابعة بعد ثلاثة أيام.

رد عبد المعطي عليها وأنفاسه تتلاحق:

- تقصدين عقيقة صغيرتنا آمنة، نعم آمنة!! قلت لك أسرع لا وقت لدينا نضيعه.. أسرع!!

نظرت زينب إليه بعين الاستغراب هنيهة، قبل أن تبتسم، ثم هرولت صوب حجرة النوم. تتبّع حركاتها الخفيفة وهي تقترب من الدولاب في سرور بالغ. دنا أكثر من باب الحجرة الموصدة، ركز فيها بصره كما تعود أن يفعل كلما وقف أمامها، إلا أنه هذه المرة لم ير صورة آخر طبيب زاره!!

سيرها في موكب من البهجة والسرور. أسند ظهره إلى جذع شجرة.. تنفس الصعداء.. أطرق.. نظر إلى الساعة.. وضع يديه في جيبه، ثم شرع يشق طريقه في تناقل، وعبارات المدير التي سبقت عملية توزيع المنح تطرق أذنيه: «وسعيأ منا وراء المساواة فقد خصصنا للأعزب ما خصصنا للمتزوج... ختاماً، وحتى تحقق منحننا هدف غاليبتكم فقد قررت الشركة السماح لكم باستغلال الساعتين المتبقيتين من عملكم في اقتناء الحاجيات التي تهتم فلذات أكبادكم خلال هذا العيد السعيد..» اختلطت العبارات بالتصفقات الممزوجة بكل صنوف الثناء والدعاء لصغار المدير. حاول أن يطرد كل تلك الصيحات فأطلق العنان للصغير.. حث الخطى. وصل به المسير أخيراً إلى ناصية الحي العمالي، وقبل دخوله أحد الأزقة أثار انتباهه أطفال يلعبون. خفق قلبه فرحاً، فهـرول تجاههم. وصل. حشر نفسه وسط المتفرجين الصغار. شجع كما يشجعون. صفق. أثنى بدوره على اللاعبين. قبلهم واحداً واحداً عقب انتهاء المباراة. تفرق الصغار فتسمرت قدماءه، وراح يرقبهم بعينين دامتتين وهم يقصدون أبواب منازلهم في غبطة. اختفوا عن ناظره، خيم الهدوء من حوله، فعاوده الصداق العنيف الذي تلاشى لفترة من الزمان، جرّ رجله في تعب. وصل باب منزله. فتحه، فاستقبلته زوجته في هلع: «خيراً إن شاء الله، لقد عدت مبكراً!!»

سمع ملاحظتها لكنه لم يجد القدرة على الإجابة. انتظرت الزوجة لحظة قبل أن تتركه من غير أن تلح عليه، تماماً كما تعودت أن تفعل كلما وجدته يقف وقتفه تلك. مر يده على جبينه. اقترب من باب الحجرة المقابلة لحجرة النوم. ركز بصره في بابها الموصد، وفي لحظة لاحت أمام عينيه صورة آخر طبيب زاره، وهو يشرح له بصوت

أغمض عينيه مرات؛ دس رأسه بين ركبتيه.. ألقى ببصره من خلال الزجاج؛ لعله يشغل عن تلك الأحاديث المتشابهة، بمشاهدة الأشجار التي تسابق الحافلة على طول الطريق. وضع جبينه على مؤخرة المقعد الذي أمامه. عض على شفتيه بقوة. توالى الأحاديث، فوقف بدون تردد، سار في بظء نحو باب الخروج، وأذنيه تلتقطان عبارات تدور في فلك واحد: «تحيل بالأمس فقط اقترضت مبلغاً، أواجه به متطلبات الصغار في العيد السعيد.. أصدقك القول، فقد كنت سأصنع صنعك، لولا هذه المنحة التي أخذناها هذا الصباح الجميل.. إذن لم تكن مثلي تنتظر من الشركة أن تكفل بهذه المهمة، فترسم بذلك البسمة على أفواه صغارك وصغاري الأعزاء..» سار عبد المعطي يغالب العناء.. وصل بعد جهد إلى جانب الباب.. شعر بالغثيان.. أشار على السائق بصوت خفيض: «الأخ إبراهيم: أرجوك، يكفي هنا.. يكفي هنا..»

وضع يده على جبينه. انتظر توقف الحافلة؛ لكن السائق بدلاً من أن يلبس رغبته، نظر إلى صورة أحد العمال كما تعكسها المرآة الداخلية، وهو يقول ضاحكاً: «أما أنا فيشهد الله على أنني كنت مصمماً على الاقتراض من أحداكم، حتى أستطيع أن أدخل البهجة على قلبي صغيري: عبد الله وسمية» فهقه الجالسون خلفه، وما عثم أن قال أحدهم: «تفكر في الاقتراض، من أناس خلصتهم الشركة من مأزق حرج!!» كرر عبد المعطي رجاءه بصوت مرتعش هذه المرة. انتبه إبراهيم، وفي الحال توقفت الحافلة، ولم تتوقف معها الأحاديث المتشابهة. فُتح الباب. قفز من غير أن يسمع الرد على تحية الوداع، التي ألفاها على زملائه.. توقف.. نظر بعينين دامتتين إلى الحافلة، ذات اللون الأزرق، وهي تواصل